عندما تنحى عبد الناصر

في ١٩٦٧ ، كان العرب على موعد مع هزيمة أخرى مريرة بعد هزيمة عام ١٩٤٨ ، أطلق عليها لشدة قسوتها مصطلح "النكسة " ، ويجب الإشارة هنا إلى أن إسرائيل كانت تخطط لعدوان ١٩٦٧ منذ انتهاء العدوان الثلاثى على مصر في عام ١٩٥٦ ، إلا أن مصر والدول العربية كانت مغيبة عن الوعى لأنها إما منهمكة فى صراعات داخلية أو في صراعات عربية.

وبعد الهزيمة بأربعة أيام ظهر الزعيم العربي جمال عبد الناصر على التليفزيون فى ٩ يونيو ١٩٦٧ يعلن مسئوليته عما حدث وتنحيه عن الرئاسة ، إلا أن الجماهير المصرية والعربية خرجت في مظاهرات حاشدة في ١٠ يونيو تطالبه بالبقاء والاستعداد للحرب وتنشد:"من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر لبيك عبد الناصر".

وكان الجيش الإسرائيلي شن في ٥ يونيو ١٩٦٧ عدوانا على القوات المصرية في سيناء وبدأت حرب ١٩٦٧ بين إسرائيل من جهة وكل من مصر الأردن وسوريا تدعمهم قوات عراقية كانت مرابطة في الأردن من جهة أخرى.

وخلال تلك الحرب التى استمرت ستة أيام قامت القوات الجوية الإسرائيلية بضرب المطارات والقواعد الجوية العربية وتحطيم طائراتها ، كما قامت القوات الجوية الأمريكية والبريطانية المتمركزة في هذا الوقت

بقاعدتى هويلز والعدم في ليبيا بتقديم المساعدة لإسرائيل عبر توجيه ضربات لسلاح الجو المصرى ما أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠ بالمائة من قدرات سلاح الجو الذي كان يعول عليه كثيرا لتقديم الدعم والغطاء الجوى للقوات المصرية أثناء العمليات العسكرية أو حتى أثناء الإنسحاب.

وجاء قرار الانسحاب العشوائي الذي أصدره القائد العام للقوات المسلحة المصرية في هذا الوقت المشير عبد الحكيم عامر ليكون بمثابة الضربة القاضية بالنظر إلى أنه أحدث ارتباكا كبيرا لدى القوات المصرية وساعد إسرائيل في اصطياد الجنود المصريين أثناء الانسحاب غير المنظم إما بالقتل أو بالأسر .

وبعد أن دمرت الضربة الجوية الإسرائيلية أغلبية المطارات المصرية ، سارعت إسرائيل إلى توسيع نطاق الحرب وشنت هجوماً بالدروع على الضفة الغربية التي كانت تابعة للأردن والجولان السورية وقطاع غزة الذي كان تابعاً لمصر وعلى شبه جزيرة سيناء واستعملت في هذا الهجوم الخاطف الأسلحة المحرمة دولياً كالنابالم وقذائف البازوكا.

وعندما قررت القوات السورية والأردنية إعادة تنظيم صفوفها للرد على الضربة الإسرائيلية الأولى حيث شارك الرئيس العراقي في هذا الوقت عبد الرحمن عارف بقوات عسكرية لدعم الجبهتين، سارع مجلس الأمن الدولى بايعاز من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا إلى إصدار قرار بوقف إطلاق النار وهددت تلك الدول الكبرى بالتدخل في حال رد الدول العربية

على العدوان وعدم الاستجابة لقرار وقف إطلاق النـــار ، ماأفـــشل خطـــط الهجوم المقابل العربية وجعل إسرائيل بواقع المنتصر.

خسائر فادحة

وشكلت نتائج تلك الحرب مرارة ما بعدها مرارة للعرب خاصة وأنها جاءت في وقت كانت تقود فيه مصر دعوات الوحـــدة العربيـــة ، فالنـــسبة لخسائر الجند والعتاد ، أشارت بعض الإحصائيات إلى أن مصر خسرت ٨٠ بالمائة من معداتها العسكرية وحوالي ١١ الف جندي (أي ما يعادل حوالي ٧ بالمائة من كل تعداد الجيش المصري) وخسرت كذلك ١٥٠٠ ضابط، وتم أسر ٥٠٠٠ جندي و٥٠٠ ضابط مصري، وجرح ٢٠ ألف جندي مصري، وخسر الأردن حوالي ٧٠٠ جندي وجرح ٢٠٠٠ من جنـــوده، وخـــسرت سوريا ٢٥٠٠ جندي، وجرح ٥٠٠٠ من جنودها، وفقدت نصف معـــداتها من دبابات وآليات ومدفعية وغيرها في هضبة الجـــولان، حيـــث غنمتهـــا القوات الإسرائيلية، كما تم تدمير كل مواقعها في الهضبة المـــشار إليهـــا، بينما كانت خسائر العراق الذي شارك بشكل رمزي (مثـــل لبنـــان حينهـــا) عشرة قتلى و٣٠ جريحا.

وبلغ مجموع خسائر الدول العربية (الأردن مـــصر وســـوريا) ٤٠٠ طائرة وأكثر من مليار دولار من الأسلحة التي دمرت مع الساعات الأولـــى للمعارك (في بعض المصادر ملياري دولار) بينما خـــسرت إســـرائيل ٣٣٨ جنديا على الجبهة المصرية، ٣٠٠ على الجبهـــة الأردنيـــة، و١٤١ علـــى الجبهة السورية .

ورغم قسوة ما سبق إلا أن الخسارة الأفدح كانت على الأرض، حيث ضاعفت إسرائيل من مساحتها ثلاثة أضعاف ماكانت عليه يوم الرابع من يونيو ١٩٦٧، واحتلت الضفة الغربية لنهر الأردن، وقطاع غزة التابع حينها لمصر، وشبه جزيرة سيناء المصرية وهضبة الجولان السورية ، إضافة الى عدد من المناطق المتفرقة مثل منطقة مزارع شبعا فى لبنان .

واقع مرير في مصر

وبالنظر إلى أن تلك الخسائر الفادحة ، جاءت بعد فترة من صعود المد القومى والتحرر الوطنى ، فقد وصف المراقبون هزيمة ١٩٦٧ بأنها "انكسار الروح" للعالم العربى بصفة عامة وللمصريين بصفة خاصة .

ففجأة استيقظ المصريون على واقع مرير ، وما ضاعف من هول الصدمة هو التعتيم الذى فرضه النظام منذ بدء العدوان الاسرائيلى ، فالمتابع لوسائل الإعلام الرسمية كان يشعر أن مصر سحقت إسرائيل من الوجود ، بينما المتابع لوسائل الإعلام الأجنبية كان يعرف جيدا أن مصر ذاقت مرارة الهزيمة .

فالراديو الحكومى يذيع أنباء مفادها " قواتنا تصد هجمات للعدو على سيناء وتبدأ هجمات مضادة .. قواتنا تسقط للعدو أربعين طائرة .. على الفور الناس تكبر وتهتف في الشوارع إحنا بننتصر مصر بتكسب الحرب ".

وفى ٨ يونيو ، بدأ الراديو يذيع أنباء غريبة مفادها "إحنا تراجعنا لخط الهجوم الثاني .. معارك شرسة في العريش "، الأمر الذى أثار ذهول

المصريين لأن تلك الأنباء جاءت بعد لحظات من إعلان وسائل الإعلام الرسمية أن القوات المسلحة المصرية أصبحت على بعد خطوات من تل أبيب .

وتأكد المصريون من الهزيمة عندما أصدر المشير عبد الحكيم عامر في ٨ يونيو قرارا بسحب الجيش المصري كله على مسئوليته الشخصية ، قائلا :" كل عسكري مالهوش غير نفسه وبندقيته " ، وهو القرار الذي اعتبره البعض بمثابة نكسة ثانية بعد أن تسبب بوقوع آلاف الجنود المصريين في الأسر كما قتل الآلاف منهم بسبب العطش والحر أو بسبب رصاص الغدر الإسرائيلى بل وأقدمت إسرائيل أيضا فى هذا الوقت على قتل مئات الأسرى بعد تعذيبهم ، بل وهناك تقارير أشارت أيضا إلى أن حوالى ثلاثين ألف جندى مصرى قتلوا في صحراء سيناء وليس ١١ ألفا كما توضح كثير من الإحصائيات.

تنحي عبد الناصر

وبالنظر إلى هول ما سبق ، ظهر الرئيس جمال عبد الناصر في التليفزيون فى ٩ يونيو ١٩٦٧ يعلن مسئوليته عما حدث وتنحيه عن الرئاسة ، إلا أن الجماهير خرجت في مظاهرات حاشدة في ١٠ يونيو تطالبه بالبقاء والاستعداد للحرب ، وكان من أبرز الهتافات في تلك المظاهرات " نريد ناصر لننتصر " ، وبالفعل رضخ عبد الناصر لرغبة الجماهير واستمر في منصبه .

وعلى الفور ، شرع في إجراء تغييرات في القيادات العسكرية ، حيث أقال المشير عبد الحكيم عامر من قيادة الجيش وعينه نائبا له ، كما قام بتعيين الفريق أول محمد فوزى قائد عاما للقوات المسلحة بدلا من عامر والفريق عبد المنعم رياض رئيسا للأركان فى ١١ يونيو ١٩٦٧ .

وفى ٢١ يونيو ١٩٦٧ ، لجأ عبد الناصر للاتحاد السوفيتى لإعادة تسليحه ، ووقعت بالفعل صفقات السلاح بين البلدين ووصل خبراء سوفييت لتدريب الجيش المصرى على السلاح الروسى.

حرب الاستنزاف

وفي مارس ١٩٦٩ انطلقت حرب الاستنزاف ، وفى ٢٢ يناير ١٩٧٠ سافر عبد الناصر إلى موسكو لطلب معدات دفاع جوى للسيطرة على الطائرات الإسرائيلية وتم بناء حائط الصواريخ .